تداوليةُ الحدثِ الكلاميّ في خطابِ المتنبي
قصيدة (عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ) اختياراً

م. حنان بندر علي

جامعة ذي قار - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

The pragmatics of the speech acts in Al-Mutanabbi's speech
The poem (Eid، in any case، you are back، Eid) as an option

Lect. Hanan Bandar Ali

ملخص البحث

انتقت الدراسة مفهوم ((الحدث الكلامي)) بعدّه أحد أبرز الأعمال في كثير من أعمال الدرس التداولي، الذي يعنى بالملفوظات ذات النظام الشكلي والدلالي والانجازي والتأثيري، فهو يطمح إلى أن يكون الملفوظ فعلاً كلامياً ذا تأثير في المخاطب اجتماعياً ومؤسساتياً ومن ثم إنجاز شيء ما.

ويعدّ خطاب المتنبي في قصيدة (عيد بأي حال عدت يا عيد) سلسلة من الأحداث ميّزت السلوك الإنساني لعدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين متزامنين وغير متزامنين، وتظهر القيمة الإنجازية لهذا الحدث الفعلي من فاعليته التداولية ومن خاصيته الحكائية، فما هو الحدث الكلامي؟ وعلى ماذا يتأسس؟ وكيف يتمّ الربط بين القضايا والأحداث؟ هذه الأسئلة وغيرها ما نحاول الكشف عنها في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الحدث الكلامي، الافعال المباشرة، الإعلانيات، الإلزاميات، أفعال الكلام غير المباشرة.

Abstract

The study choses the concept of 'speech acts' after being one of the most prominent works in many of the works of the pragmatic lesson، which is concerned with utterances that have formal، semantic، executory and influence system. It aspires to be a verbal act that has a social and institutional impact on the addressee and then accomplishing something. Al-Mutanabbi's speech in the poem (Eid Anyway، you came back) is a series of events that characterized the human behavior of several people who are concerned to be simultaneous and asynchronous actors. The performance value of this actual event appears from its deliberative effectiveness and its narrative feature. What is a speech act? On what is it based? How are the issues and events linked? These and other questions are what I try to uncover in this study.

Keywords: speech act، direct verbs، declarations، compulsions، indirect speech acts.

المقدِّمة:

يعدُّ الحدث الكلامي أحد الجسور الذي يربط بين المنحنى الشكلي الصوري بزعامة البنيوية، والمنحنى الوظيفي في اللسانيات الحديثة، ويرى (فان دايك) أنّه يجب النظر إلى النص بوصفه فعلاً للكلام أو بوصفه سلسلة من الأفعال الكلامية، كما أنّه من الممكن تحليل النص على أنّه متوالية من الجمل، ويمكن النظر إلى النص على أنّه فعل كلامي أكبر من أفعال اللسان[١]، أمّا (جورج بل)، فقد عرّف الحدث الكلامي قائلاً: ((هو مفهوم من المفاهيم التي تدور في فلك الفعل الكلامي، وهو سلسلة من الأفعال الكلامية أو نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية واللغوية بطريقة تواضعية تفضي إلى نتيجة ما ويمكن أن يحتوي على فعل كلامي مركزي، ولكن يمكن أيضا أن يحتوي على منطوقات تقود إلى ردود أفعال متتابعة تبني الفعل المركزي))[٢]، ويرتبط الحدث الكلامي بالتفاعل بين الأطراف التخاطبية الذي يفضي إلى الكشف عن الفعل المركزي سواء صرّح به أم كان مضمراً، وتتضافر سلسلة الأفعال الأخرى في إنشائه، ولعل الحدث الكلامي هو الأقرب للتعبير عن الأعمال الأدبية بوصفها حدثاً ما، ولهذا الحدث طاقة استيعاب الزمان والمكان من جهة وتجاوزهما من جهة أخرى.[٣]

ويتضح للمتمعّن في قصيدة المتنبي (عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ) بناؤها القائم على سلسلة من أفعال كلامية مختلفة باختلاف الشخوص الذين وجّه إليهم الخطاب، تندرّج تلك السلسلة الفعلية بفعل الكلام الإجمالي وتشير إلى مقصد إجمالي واحد، هو التأزّم النفسي الذي كان عليه أبو الطيب إبان نظم القصيدة، وقد توزّعت الدراسة على محورين، الأول الأفعال الكلامية المباشرة، وقد اشتملت على اتجاهين:

الاتجاه الأول: تجليات الأفعال المباشرة ووظائفها في قصيدة (عيدٌ بأيّةِ حالٍ..):

لقد عُدّت الأفعال الكلامية من أهمّ معايير الدرس التداولي، فقد تزامن نشوء التداولية مع نظرية الأفعال الكلامية[٤]، وقد أكد اللغوي البريطاني (جون أوستن) على مقاصد المتكلم في الخطاب، واعتقد أنّ لكل مقولة مغزىً معيناً[٥]، بمعنى أنّه وضع

المتكلم نصب عينيه في عملية الكلام بوصف العلاقة بين ((المتكلم واللغة التي يستعملها الإشكال الأساسي للدرس اللساني؛ لأن هذه العلاقة هي التي تتحكّم في التأويل الدلالي))[٦]، وقد تركت الأسس التي سنها أوستن في نظرية الأفعال الكلامية ثغرات متعددّة فأكمل تلميذه (سيرل) تلك النظرية، وحاول جاهداً أن يسدّ تلك الثغرات في تحليله للمقولات الخطابية[٧]، من حيث تفسير المستمع أو المخاطب، ووضع شروطا موقفية للإنجازات غير العرفية التي أهملها أوستن عند وضعه شروطا على الانجازات العرفية الشعائرية وحسب[٨]، وقد وضع حداً للأفعال الإنجازية المباشرة في نظريته فهي تشير إلى ((تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أي أن يكون ما يقوله مطابقاً لما يعنيه))[٩].

إنّ الحدث الكلامي يمكن أن يشغل وظائف متعدّدة في الخطاب، وقد أدرج (سيرل) خمسة أنواع لوظائف عامة تنجزها أفعال الكلام[١٠]، وسنعرّج الآن على تلك الأفعال الكلامية على وفق تقسيم (سيرل) وقوتها الانجازية في تحديد الوظائف التي تخرج اليها:

١- الإعلانيات: وهي من الأفعال التي صنفها (سيرل) وتقتضي أن ((يكون الفعل فيها مقارناً للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلاً))[١١]، وكي تحقّق نجاحاً تداولياً لابد من مطابقة محتواها القضوي للمقام الذي أنتجها[١٢]، ويتسع الحدث الكلامي في هذا النوع من الأفعال ليشمل الوصية، والإقرار، والدعوى، وإعلان الحرب، والطرد، والهبة، والإجارة... وغيرها[١٣]، وقد بدأ المتنبي قصيدته بإعلان مجيء العيد بقوله[١٤]:

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ ياعيدُ
بِمَا مضى أم لأمْرٍ فيكَ تجديدُ
أمّا الأحِبةُ فالبَيْداءُ دونَهمُ
فَلَيتَ دونَكَ بِيداً دونَهَا بِيدُ

استعمل الشاعر جملة من الأفعال الكلامية التي كانت حجر الأساس في تأسيس حدث كلامي هدفه الإعلان عن مجيء العيد الذي يمثّل جانباً للسعادة والبهجة، يقابله بإعلان آخر موازٍ له زمنياً ومتضادٍ معه توّد في نفسية الشاعر وهو إعلان حالة الحزن لفقد الأحبة، لتحقيق

قصد تداولي سعى الشاعر إليه من وراء تلك السلسلة الفعلية فنراه يعمد إلى الأفعال التداولية (عدت، مضى، ليت) التي أدت غرضاً إنجازياً، يمثّل في الحقل التداولي قصد المتكلم من وراء استعمالها، وهو: الحزن الذي ألمّ بالشاعر الذي معه لم يحس بطعم الفرح والاحتفال، فالشاعر يمر بأزمة وحيرة وواقع مرير يتمثّل في فقدان الشاعر لأحبته، فتراه يفقد طعم التلذّذ بالحياة وأفراحها كأن الزمن توقّف عند ذلك الفراق، فالإحساس بالعيد وما يصاحبه من تمظهرات الفرح والبهجة قد تلاشى عند الشاعر، مع غياب الحبيب، وبذلك يكون الحدث الكلامي في تلك المقدمة هو الإعلان عن حالة الحزن التي تزامنت مع مجيء العيد، والفعل القولي (فليت دونك بيداً...) له بنية قضوية تداولية عميقة تتجسّد فيما حملت لفظة البيد من بعدين أحدهما البعد الواقعي الفيزيائي المسافة الطويلة، والآخر البعد النفسي الذي يصاحب المرء في الصحاري الطويلة من البؤس واليأس واستحالة النجاة؛ ولذلك جسّد الحدث الكلامي بؤرة نفسية لحالة الشاعر مع الحبيب، الذي كان يقصد به (سيف الدولة الحمداني)، وعليه نجح الشاعر في خلق تواصل بينه وبين مخاطبه عبر جعل نصه مرتبطاً بموقف اجتماعي وحدث واقعي.

٢- الإخباريات (الممثلات): يؤدي المتكلم في هذا النوع من الأفعال حدثاً كلامياً ينمُّ عن وظيفة إخبارية عن طريق نقل ((واقعة ما بدرجات متفاوتة من خلال قضية محدّدة يعبّر بها عن هذه الواقعة))[١٥].

إنَّ التصور التداولي لهذا النوع من الأفعال يتمثّل في هدفه للتعبير عن الوقائع التاريخية، فهذه الأفعال الإنجازية لا تخضع إلى معياري الصدق والكذب بل تستند إلى معياري النجاح والفشل[١٦]، فعندما يكون للمتكلم النية والقصد في تبنّي أفكار يؤمن بها، ومعتقدات راسخة في وجدانه، فإنّه يعبّر عنها بصدق وإخلاص، ملائماً في ذلك بين ملفوظاته والعالم الواقعي[١٧]، وبذلك يكون قد حقّق نجاحاً تداولياً في التواصل عندما يستميل مخاطبه ويقنعه بما أتى به من أفعال إخبارية، ويجعله متفاعلاً بما يقوله ويؤمن به.

ومن الأفعال الإخبارية التي وردت

في خطاب المتنبي قوله[١٨]:

إنّي نَزَلْتُ بكَذّابِينَ ضَيْفُهُمُ

عَنِ القِرَى وَعَنِ الترْحالِ محْدُودُ

جودُ الرّجالِ من الأيدي وَجُودُهُمُ

منِ اللّسانِ فَلا كانوا وَلا الجُودُ

إنَّ المحيط التداولي لهذا الخطاب يحيل إلى أفعال كلامية أدّت وظيفة إخبارية منجزة وصفاً لواقعة حقيقية على وفق طبقة مقامية محددة، وقد اضطلع بتلك الوظيفة حائل الكلام بقوله (إنّي نَزَلْتُ بكَذّابِينَ ضَيْفُهُمُ)، وعليه قام الحائل بسرد الأخبار عن كافور الأخشيدي، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أنّ المتنبي نزل عندهم بعدما طلب الأخير منه ذلك واعداً إياه بالمال والجاه، لكنّه لم يجد سوى البخل والتقشف عنواناً له، وبذلك السرد الإخباري اكتسب الخطاب قوته الإقناعية، وفاعليته التداولية من خاصيته الإخبارية والحكائية[١٩]، وهذا ما نصه التداوليون، حيث اشترطوا في نجاح تلك الأفعال هو تناظرها ما بين محتواها القضوي -مجموع معاني مفردات الخطاب- والوجود الخارجي -السياق الذي أنتجها[٢٠]- وعليه يمكننا القول: إنَّ الشاعر استطاع أن يؤدي حدثاً كلامياً تفاعلياً تواصلياً بينه وبين مخاطبه عبر مطابقة ملفوظاته الخطابية للوقائع والأحداث الموجودة في العالم الخارجي.

٣- التعبيريات: وهي مجموعة الأفعال التي تؤدي وظيفة تعبيرية عن الحالة النفسية للمتكلم[٢١]، وهي مختصة بخبرة المتكلم وتجربته[٢٢]، تعينها شروط الصدق حول واقعة ما يحدّدها المحتوى القضوي للجملة[٢٣]، ويمكن أن تتخذ شكل ((جمل تعبّر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن... يمكن أن يسبّبها شيء يقوم به المتكلم أو المستمع))[٢٤] ولا يشترط فيها المطابقة بين الكلمات والواقع[٢٥]، ومن أمثلة تلك الأفعال قوله[٢٦]:

إذا أرَدْتُ كُمَيْتَ اللّوْنِ صَافِيَةً

وَجَدْتُهَا وَحَبيبُ النّفسِ مَفقُودُ

ماذا لَقيتُ منَ الدّنْيَا وَأعْجَبُهُ

أني بِمَا أنَا شاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

إنَّ بؤرة الحدث الكلامي في هذا الخطاب هي الانكسار النفسي، لذا نجد أنَّ الشاعر يعتمد سلسلة من الأفعال الكلامية التي أدّت وظيفة تعبيرية عن التوترات

الشعورية التي اعترته بعد الحالة التي وصل إليها، من فقد الحبيب (سيف الدولة)، وخذلان الآخر له، وكذب الوعود (كافور الأخشيدي)، مكوّناً سياقاً تداولياً لديه من كل العوامل النفسية التي تحدّد نسقاً لكي تلائم تلك الأفعال الكلامية التعبيرية، فلو أنعمنا النظر في الخطاب لوجدنا أنه فعل كلامي من أفعال اللسان[٢٧]، فالخطاب يتكوّن من متوالية كلامية تعبيرية قد تكون مستقلّة بعض الشيء، لكن بعضها يشترط بعضها الآخر[٢٨]، إذ تتمحور جميعاً نحو حالة الانكسار النفسي التي يعيشها الشاعر؛ لتكون تلك الأفعال كالآتي:

- أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللّوْنِ: (الخمرة).
- وَجَدْتُهَا وَحَبيبُ النّفسِ مَفقُودُ: (يفتقد سيف الدولة).
- ماذا لَقيتُ: شعوره بعدمية ماكان سابقاً.
- شاكٍ: إعلان الهزيمة وتصريح بالانكسار بعدما كان يقارع الزمن.

إنَّ الفعل القضوي في جميع تلك المتواليات هو:

الفراق الذي حصل بين الشاعر وممدوحه الأثير، وصديقه الأحبّ سيف الدولة الحمداني، لذا نراه يشعر بالانكسار والتموّج النفسي، الذي حمله على إعلان الهزيمة والتصريح بحزنه وكمده، وعبثية الحياة التي عاشها، وهذا استلزم معنى آخر يتجسّد في أنَّ الشاعر ربط زهوه النفسي وحياته كلها مع سيف الدولة وبذهابه ذهب كل شيء حتى شخصية المتنبي وعظمته.

٤- الإلزاميات: ترجمت إلى مسمّيات متعدّدة، فقد سمّيت الملزمات[٢٩]، والأفعال الإلزامية[٣٠]، وأفعال الوعد[٣١]، ويقصد بها الأفعال ((التي تُلزم المتكلم بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية، ومن أمثلتها أفعال العرض، والوعد والوعيد))[٣٢]، ويتمثّل غرضها الإنجازي بما ينوي المتكلم فعله كونه أحد أعضاء العملية التخاطبية[٣٣]، ويجب عليه مطابقة كلماته للعالم الخارجي، ويشترط فيها الصدق والقصد[٣٤]، وقد سجّل هذا النوع من الحدث الكلامي حضورية في قصيدة المتنبي قيد الدراسة، ومن ذلك قوله[٣٥]:

لَوْلا العُلى لم تَجُبْ بي ما أجوبُ بهَا
وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلا جَرْداءُ قَيْدودُ

إنَّ خطاب المتنبي عبارة عن حدث

كلامي يتشكّل من أفعال كلامية متسلسلة (لولا العلا، لم تجب، ما أجوب)، مثّلت تلك الأفعال بؤرة الخطاب، ويتمّ إنجاز تلك البؤرة عن طريق إنجاز الأفعال الكلامية التي تربطها علاقة هي القوة الانجازية لتلك الأفعال، التي أدّت وظيفة تداولية وهي إلزام الشاعر نفسه بطلب العلا حتى لو كان ذلك على حساب فراق أحبته، فالنص يتمحور حول الأسباب التي دفعت الشاعر إلى طي الفيافي والصحاري طلباً للعلا الذي طالما أراده وسعى إليه جهده، وبذلك العرض الذي تقدّم به الشاعر في معرض خطابه (لولا العلا)، خلق منبّهاً سياقياً يعين المخاطَب على الوصول إلى النتيجة التداولية من وراء سفر الشاعر عن وطنه وفراق أحبته، لذا نراه يعمد إلى صيغ مسبوقة بأدوات نفي (لم تجب، ماأجوب)، فضلاً عن تكرار اللفظة بتقلبّات مختلفة (تجب، أجوب)، لنفهم أنَّ الشاعر والعلا شيئان لا يفترقان، ومن دون العلا لم يستطع الشاعر أن يمارس حياته بصورة طبيعية، بل أنَّ طلب العلا من ضروريات الحياة لديه، فهو يفضّله على قربه من أحبابه.

٥- التوجيهيات: هي مجموعة الأفعال التي يقصد بها المتكلم حمل مخاطبه على فعل شيء ما[٣٦]، بتوجيهه إلى القيام بأعمال يرغب بها[٣٧]، وباستعمال ((الموجّه يحاول المتكلم جعل العالم ملائماً للكلمات))[٣٨]، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الرغبة الصادقة لدى المتكلم في إقناع مخاطبه[٣٩]، وتتخذ (أشكال أوامر، وتعليمات، ونواهٍ، ومقترحات)[٤٠].

وقد شغلت هذه الأفعال حيّزاً من خطاب المتنبي في قصيدته موضوع الدراسة، ومن ذلك قوله[٤١]:

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلّا وَالعَصَا مَعَهُ
إنَّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

اشتملت هذه البنية الخطابية على أفعال كلامية متعدّدة مثل النهي (لاتشترِ)، والتوكيد اللفظي (إن العبيد لأنجاس)، والتوكيد المعنوي في لفظة (مناكيد)، ويبدو أنَّ الوظيفة الإجمالية من البنية الطولية لسلسلة الحدث الكلامي هي توجيه المخاطَب إلى صفات المهجوّ، جاعلاً من المعاني الخَلقية (السواد، واللؤم، والنجاسة، وقلة الخير)، معاني خُلقية، فقد أصّلها في

نفوسهم، وهذا ما دلَّ عليه الترابط بين تلك السلاسل، فظهرت الألفاظ وكأنَّها معانٍ خُلقية، أمّا الفعل الإنجازي من تلك الأفعال فهو إقناع المخاطَب أن أرواحهم نتنة من اللؤم، فإذا أراد الموت أن يقبضها لا يرفعها بيده بل يرفعها بعود تقذراً منها، ويسمّى هذا النوع من التسلسل الكلامي بالخطاب (التداولية الكبرى)، إذ أطلق (فان دايك) على ((التنظيم الكلي لمتواليات الأفعال الكلامية، والسياقات وعلاقتها ببنية الخطاب) إسم (التداولية الكبرى))[٤٢]، فالفعل الكلامي الذي تؤدّيه تلك المتوالية الفعلية هو فعل كلامي إجمالي، وهو أنَّ العبد لايصلح لسيده إلاّ بالعصا لسوء خلقه، أمّا المعنى القضوي التداولي الذي أدّى بالشاعر أن ينحى بخطابه هذا المنحى من الترتيب الفعلي فهو: أنَّ تلك الصيغ واستعمالاتها تزيل الشبهة والخلط واللبس وتساعد على إدراك القصد التداولي[٤٣]، لذا شحن خطابه بتلك الصيغ.

الاتجاه الآخر: تمثّلات الحدث الكلامي في أفعال الكلام غير المباشرة:

لاحظ التداوليون أنَّ التأويل الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذراً إذا اكتفينا بما تحتويه الصيغة من معلومات، ومن هنا كان هناك إشكال، وهو كيف يتسنّى للمتكلم أن يكوّن حدثاً كلامياً بصيغة معيّنة وهو يقصد شيئاً آخر؟ وقد رصد التداوليون جملة من تلك الصيغ، التي حاولوا تفسيرها انطلاقاً من دراسة أفعال الكلام والمعلومات المشتركة بين المتكلم والمستمع، وقدرة المتلقي على القيام باستنتاجات[٤٤].

وقد عرّف التداوليون الفعل الكلامي غير المباشر بأنَّه فعل ثانوي متى ما أراد المتكلم ((خلاف مايفهم من ظاهر اللفظ، وبلغ أكثر ممّا قال وسمع كان العمل اللغوي المتحقّق غير مباشر))[٤٥].

وتبعا لذلك فإنَّ العمل اللغوي غير المباشر يتمثّل في أنَّ القائل يحقّق عملاً أولياً متضمّناً في القول بوساطة عمل ثانوي متضمّن في القول، وهو يقصد ذلك والمخاطب يعلم ذلك، ولاحظ التداوليون أنَّ للمقام أثراً في التفرقة بين المعنى الحرفي والمعنى القضوي، وقد وجدنا في قصيدة المتنبي ما يجسّد تلك الحمولات الدلالية في

قوله[٤٦]:

أَصَخْرَةٌ أَنَا ما لي لاتُحَرّكُني
هَذِي المُدامُ وَلا هَذي الأغَارِيدُ

إنَّ القراءة المتمعنّة لهذا النص الشعري تظهر أنَّ عبارة الشاعر (أصخرة أنا) لا تشير البتة إلى الاستفهام، فالشاعر يقدّم اللاإحساس وفقدان الذات والمشاعر على الأنا التي تمثّل الذات والمشاعر، ومن ثم فإنَّ القصد الاستفهامي الشعري يتراجع إلى الوراء لتتصدّر دلالة التعجّب بدلاً عنه، وبهذا الملفوظ الأسلوبي تتكوّن صورة في ذهن المخاطب عن الشحنة الشعورية التي انتابت الشاعر، فهذا السياق بمفرده كفيل بأن يبيّن للقارئ القصد التداولي للبيت، وهو درجة التأزّم النفسي الذي كان عليه أبو الطيب إبّان نظم القصيدة موضوع الدراسة.

وقد توسّل المتنبي مرات متعدّدة بالاستفهام لتحقيق مقصده، ومن ذلك قوله[٤٧]:

مَنْ عَلَّمَ الأسْوَدَ المَخصِيَّ مكرُمَةً
أقَوْمُهُ البِيضُ أمْ آبَاؤهُ الصِّيدُ
أمْ أُذْنُهُ في يَدِ النَّخّاسِ دامِيَةً
أمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بالفَلْسَينِ مَرْدودُ

إنَّ استقراء النص يشي من الدقّة تمكّن المخاطَب من تصوّر قول الشاعر (من علّم الأسود، أقومه البيض) على أنَّه تقنية أسلوبية استفهامية خرجت عن معناها الحقيقي بطلب العلم بالشيء[٤٨] إلى الاستفهام الاستنكاري لفعل ذلك الأسود، ويقصد به (كافور الأخشيدي) العبد الفار من أسياده الذي نصب نفسه سيداً، وأعلن للملأ هذه السيادة الجديدة، وهذا الاستفهام الاستنكاري أتاح للمخاطب أن يوجّه بصره نحو معنى تداولي في السخرية من القدر في صيرورة العبد الهارب من أسياده قائداً للبلاد، وحاكم المدينة ورئيس الناس فاستعبد الأحرار وسوّد العبيد، إنَّ تلك البنية التداولية للحدث الكلامي عبر الفعل غير المباشر الاستفهام جعلت من المهجوّ رمزاً للدناءة والحقارة بقوة تضاهي ما ألفيناه عندما جعل الممدوح رمزا للقوة والعظمة جامعاً بذلك سيف الهجاء الجادّ والساخر مكوّناً صورة حية للمهجوّ تتجسّد في أبشع صور الدناءة، وعند التبحّر في القصيدة نجد أنّ الحدث الكلامي يتجسّد في فعل آخر غير مباشر

وهو النفي، كما في قوله[٤٩]:

ما كُنتُ أحْسَبُني أحْيَا إلى زَمَنٍ
يُسِيءُ بي فيهِ عَبْدٌ وَهْوَ مَحْمُودُ
ولا تَوَهّمْتُ أنَّ النّاسّ قَدْ فُقِدوا
وأنَّ مِثْلَ أبي البَيْضاءِ مَوْجودُ

إنَّ للنص بصورة عامة أبعاداً تداولية تتمثّل أهميته البالغة في توثيق حدث كلامي يسدل الستار على نهاية شخصية المتنبي، التي كانت مقصد الممدوحين تلك الشخصية الفريدة الفذة التي عاشت تشرط على سيف الدولة ألاّ ينشد إلاّ وهو جالس، وقائم إذا كان الأمير قائماً، وعليه يقوم النص على الاختلاف في المواقف، ويستقيم بوجود الانجذابات بين أطرافه المتباينة[٥٠]، فالشاعر يستعمل فعلاً غير مباشر وهو النفي، ليعبّر عن انكساره ويعلن هزيمته أمام الممدوحين، فهو أصبح كغيره من الشعراء يطرق باب الممدوحين ويمدحهم وليس فيه رغبة في عطاياهم وكرمهم وهذا مايشي به السياق اللفظي الذي أتى بعد النفي: (يسيّرني فيه عبد وهو محمود)، الذي عضد ذلك النفي الذي جاء في البيت الثاني (ولاتوّهمت)، الذي خرج هو الآخر من معناه الحقيقي إلى معنى السخرية والاستهزاء بشخصية كافور الأخشيدي، فهو لم يظنّ أنّ الكرام قد ماتوا، ويبقى بعدهم من هو مثل كافور إلاّ بعد أن رآه.

النكتة التداولية في هذا الفعل غير المباشر المكوّن من الحدث الكلامي أنّه عندما يتحدّث عن نفسه يأتي بصيغة الفعل الماضي (ما كنت)، ليستذكر بها شخصيته العظيمة المقارعة للدهر، وعندما يتحدّث عمّا آل إليه يتحدّث بصيغة المضارعة (يسيّرني)، التي تضمّنت قولاً تداولياً تمثّل بهزيمة تلك الشخصية وانتهائها، تلك الشخصية التي وأد الدهر أن يأتي بمثلها، وأضفت له الوثوق من اعتقاده في استمرارية كذب كافور، وعدم وفائه بعهده إليه وتأسيساً على ذلك أدّى الفعل غير المباشر النفي في النص بعداً تداولياً تمثّل في مقام التحوّل الذي حصل بين المتنبي الأمس ومتنبي اليوم، وهذا ما رامه الشاعر في هذا الحدث الكلامي.

وفي ضوء معالجة نصوص (عيد بأية حال عدت يا عيد) بوصفها سلسلة من أفعال كلامية في إطار الحدث الكلامي

بنيت على أساس نوستالجي استذكر فيها الشاعر أدقّ التفاصيل التي أثارت بركان المشاعر المنفصلة مابين الألم والشجون والحزن، وأصداء الزمن الجميل والعلاقات الاجتماعية التي كان عليها، وانعكاس الأيام والأحداث، لمحنا فيها التفكير الانتقائي للمتنبي حيث يبرز الانتقاء السلبي الذي أضمر بين ثناياه الانتقاء الايجابي مكوّناً نسقاً تداولياً، وتتجلّى أنماط من تلك الأفعال على وفق معيار النوع في قول المتنبي[٥١]:-

وَأنَّ ذا الأسْوَدَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ
تُطيعُهُ ذي العَضَاريطُ الرّعاديدُ
جَوْعانُ يأكُلُ مِنْ زادي وِيُمسِكني
لكَيْ يُقالَ عَظيمُ القَدرِ مَقْصُودُ

في هذا النموذج الحواري تتهيكل متتالية من الأفعال الكلامية بنائياً بالنحو ال آتي:-

١- شكل البيت الأول الأفعال التمهيدية بوصفها ممهّدة أو مقدّمة للفعل الإنجازي الأكبر، وفي هذا القسم رسم لنا المتكلم البعد الجسمي لـ(كافور الأخشيدي) من اللون (الأسود)، وشكل الوجه (مثقوب مشفره)، وقد وظّف المتنبي في قوله (تطيعه ذي العضاريط الرعاديد) الإستراتيجية غير المباشرة في التعبير عن قصده؛ لأنّه يشير بتلك الأوصاف الى عزوف سادات القوم، وكبار الشعراء عن حضور مجلسه ومجالسته، فما يتبعه إلاّ أراذل الناس وأدناهم.

٢- يؤدي الملفوظ (جوعان يأكل ـ ويمسكني) في بنية الخطاب وظيفة الفعل المساعد، والفعل المساعد (هو كل فعل تقصد نتيجته شرطاً كافياً لنجاح فعل رئيس)[٥٢]، فلولا وجود المتنبي في باحة "الأخشيدي" والتمسّك به بالقوة والوعود الكاذبة لم تتحقّق نيّة الأخير في جعل المتنبي شاعره ومتواجدا في بلاطه. كما أدّى عمل "الأخشيدي وظيفة الفعل المساعد؛ لأنَّ الاتيان بتلك الأفعال التي من نتيجتها كان المتنبي شاعر كافور الأول جعله عظيم القدر ومقصداً لكبار الشعراء والاشراف من العرب (لكي يقال عظيم القدر محمود).

٣- تؤلف الأفعال الانجازية في البيت الثاني (يأكل من زادي، يمسكني) الفعل الكلامي المركب أو الحدث المركب لفعل الكذب ونقض العهد كما أنَّ الحدث (يتكوّن من عدة أحداث تنتظم مستقيمة الاتجاه، إلاّ أنها

تدرك أو تصوّر كحدث واحد في مستوى معيّن من الوصف)[٥٣].

إنَّ تلك الأفعال الإنجازية ورغبة (كافور الإخشيدي) في الإبقاء على المتنبي بجواره كلها تتجه بخط مستقيم إلى الفعل الإنجازي غير المباشر والشامل، كما تلوح عبارة (يقال عظيم القدر محمود) إلى نتيجة مخطّطة سلفا ثم تأتي الوحدات اللغوية لمتوالية الأفعال المتعاقبة زمانيا لتصوير المشهد الكلي للحدث المركزي أو الفعل الأكبر.

الخاتمة:

١- كانت الأجواء التي تحيط بالقصيدة أجواء نفسية متأزّمة، وهذا ما نلحظه بوساطة الحدث الكلامي وما انطوى تحته من أفعال مباشرة وغير مباشرة.

٢- تمكنّا من استيحاء المعنى التداولي من تلك الأحداث عبر الإسقاطات التي أجريناها من السير على تقسيمات (سيرل) للأفعال المباشرة عبر (الاعلانيات، والإخباريات، والتعبيريات، والإلزاميات، والتوجيهيات)، فضلاً عن الأفعال غير المباشرة التي تجسّدت في الاستفهام والنفي.

٣- إنَّ تأويل المعنى يلزم المتكلم مراعاة محيط النص التداولي الذي يتوّفر عليه فهم المعنى وتأويله، وتمثّل ذلك بمعرفة مناسبة القصيدة ومقامها الذي قيلت فيه، فضلاً عن العلاقات اللغوية داخل البنية النصية.

٤- وجدنا في تداولية الحدث الكلامي ميداناً رحباً لمعرفة نهاية الشخصية التي أرّقت الممدوحين والنقاد والناس على حدّ سواء، فقد استطاع الشاعر أن يضمن أحاسيسه وانكساراته النصية بألفاظ لغوية قدّر لها أن تكون آليات وإجراءات نقدية معاصرة تستعمل لكشف الاستلزام الخطابي للنصوص الأدبية.

الهوامش:

١- ينظر: علم النص متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن البحيري، دار القاهرة، ط١، ١٩٩١: ١٢٨.

٢- التداولية، جورج بول، ترجمة: د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون، ط١، ٢٠١٠م: ١٥٧.

٣- تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب انموذجاً، الدكتوره رحيمة شيتر، دار الكتاب الحديث الأردن، ط١ ٢٠٠١م: ١٥٨.

٤- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية (د.م)، (د.ط)، ٢٠٠٢م: ٤٢.

٥- ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، عبدالله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان،ط١، ٢٠٠٧ م: ١٠٧.

٦- التداوليات علم استعمال اللغة من بحث التأويل الدلالي - التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، أدريس سرحان، تقديم، حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١١م: ١٢٧.

٧- ينظر: نظرية الفعل الكلامي (مصدر سابق): ١٠٨.

٨- المصدر نفسه والصفحة.

٩- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (مصدر سابق): ٤٤..

١٠- ينظر: التداولية (مصدر سابق): ٨٩.

١١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (مصدر سابق): ٩٨.

١٢- ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق، د. أحمد كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، ط١، ٢٠١٥ م: ٨٣.

١٣- ينظر البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القراني، قدور عمران، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٢م: ٦١.

١٤- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م: ٥٠٦.

١٥- في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في معجم

سياقي، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب الكويت، ط١، ٢٠١٠م:٦١.

١٦- ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القراني (مصدر سابق): ٥٠.

١٧- ينظر: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، د. بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ٢٠١٠م:٥٢.

١٨- الديوان: ٥٠٧.

١٩- ينظر الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي، https: // ٠٧alwali.-wwwaljabriabed.net.\n٦١ htm:

٢٠- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (مصدر سابق): ٥٥.

٢١- ينظر: التداولية (مصدر سابق): ٩٠.

٢٢- ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط٢، ٢٠١٠م: ٢٥..

٢٣- ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

٢٤- التداولية بين النظرية والتطبيق (مصدر سابق): ٨٢.

٢٥- ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق (مصدر سابق): ٨٢.

٢٦- ديوانه: ٥٠٦.

٢٧- ينظر: النص والسياق (مصدر سابق): ٢٣١.

٢٨- ينظر: النص والسياق (مصدر سابق): ٢٣١.

٢٩- ينظر: التداولية (مصدر سابق): ٩١.

٣٠- ينظر: اللسانيات الوظيفية (مصدر سابق): ٢٥.

٣١- البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القراني (مصدر سابق): ٦١.

٣٢- ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

٣٣- ينظر: التداولية (مصدر سابق): ٩١.

٣٤- ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، ط١،٢٠٠٤ م:١٨٣.

٣٥- ديوانه:٥٠٦.

٣٦- ينظر: اللسانيات الوظيفية (مصدر سابق): ٢٥.

٣٧- ينظر التداولية (مصدر سابق): ٩٠.

٣٨- المصدر نفسه والصفحة.

٣٩- ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق (مصدر سابق): ٨٢.

٤٠- التداولية (مصدر سابق): ٩٠

٤١- ديوانه: ٥٠٧.

٤٢- النص والسياق (مصدر سابق): ٢١٤.

٤٣- ينظر: استرتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية (مصدر سابق): ١٣.

٤٤- ينظر: الخطاب القراني دراسة البعد التداولي، د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت لبنان، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٣٨.

٤٥- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، دياك موشلار، تر: سيف الدين غفوس، د. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط ١: ٢٠٠٣: ٢٦٨.

٤٦- ديوانه:٥٠٦.

٤٧- ديوانه: ٥٠٨.

٤٨- ينظر: مراعاة المخاطب في النحو العربي، بان الخفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١،٢٠٠٨م: ٢٥.

٤٩- الديوان: ٥٠٧.

٥٠- ينظر: الحوار في شعر محمد حسن فقي دراسة تداولية (رسالة)، محمد بن عبدالله الشهري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ: ٧١؟

٥١- ديوانه، ٥٠٨

٥٢- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فاين دايك، ترجمة عبد القادر قيني، افريقا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م، ٢٤٠.

٥٣- المصدر نفسه والصفحة.

المصادر والمراجع:

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية (د.م)، (د.ط)، ٢٠٠٢م.

٢- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، ط١،٢٠٠٤ م

٣- الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي، https: // wwwaljabriabed.net.\n٦١\Valwali.-٠٧ htm:

٤- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القراني، قدور عمران، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

٥- تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، د. بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٦- التداولية بين النظرية والتطبيق، د. أحمد كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، ط١، ٢٠١٥ م.

٧- التداولية، جورج بول، ترجمة: د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون، ط١، ٢٠١٠م.

٨- التداوليات علم استعمال اللغة من بحث التأويل الدلالي - التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، أدريس سرحان، تقديم، حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

٩- تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب انموذجاً، الدكتوره رحيمة شيتر، دار الكتاب الحديث الأردن، ط١ ٢٠٠١م.

١٠- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، دياك موشلار، تر: سيف الدين غفوس، د. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط ١: ٢٠٠٣.

١١- الحوار في شعر محمد حسن فقي دراسة تداولية (رسالة)، محمد بن عبدالله الشهري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ١٤٣٣- ١٤٣٤هـ.

١٢- الخطاب القراني دراسة البعد التداولي، د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت لبنان، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٣- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٤- علم النص متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن البحيري، دار القاهرة، ط١، ١٩٩١.
١٥- في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في معجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب الكويت، ط١، ٢٠١٠م.
١٦- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط٢، ٢٠١٠م.
١٧- مراعاة المخاطب في النحو العربي، بان الخفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١،٢٠٠٨م.
١٨- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فاين دايك، ترجمة عبد القادر قيني، افريقا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م.
١٩- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، عبدالله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان،ط١، ٢٠٠٧ م.